

www.dvd4arab.com

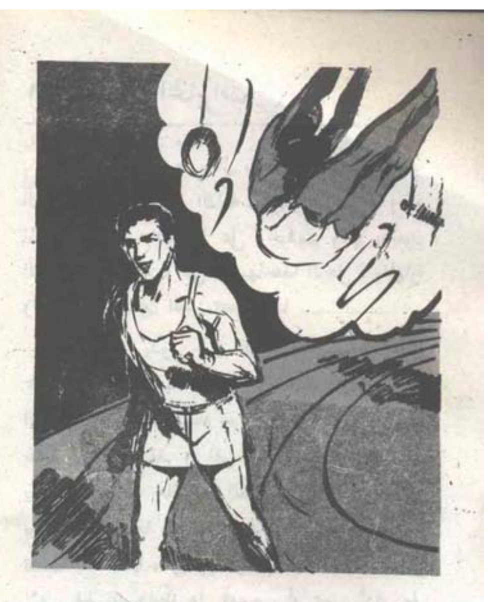
لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات الحربية ، لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ــ رجل المخابرات ..

اتجهت أنظار بضعة رجال يقفون بلا ترتيب فى قاعة الرياضة نحو رجل طويل القامة ، عريض المنكبين ، وسيم الملامح ، وبدت الدهشة على وجوههم وهم يتابعون التدريبات العجيبة ، التى يمارسها هذا الرجل ، والمهارة والرشاقة العجيبتين اللتين يتميز بهما ..

كان الرجل يدور حول القاعة عَدْوًا بسرعة تحطم جميع الأرقام القياسية ، التى تم تحقيقها فى الألعاب الأولمبية ، ثم ينحرف فجأة نحو الحصان الخشبى ، فيعبره بقفزة رائعة ، ثم يقفز فى الهواء زهاء ثلاثة أمتار قبل أن يتعلق بمهارة فى حلقتى (العقلة) ، ويطوّح جسده بواسطتها متأرجحًا حتى يصنع قوسا كبيرا فى الهواء ، ثم تفلت يداه منها ، ويدور بجسده فى الهواء ، كأمهر لاعبى الجمباز هابطًا على قدميه ، أو بمعنى أدق على



ويدور بجسده فى الهواء ، كأمهر لاعبى الجمباز ..

أصابع قدميه ، فما أن تلمس قدماه الأرض حتى يعاود العَدْوَ بنفس السرعة ، متخذًا دورة جديدة مثل سابقتها ..

أشار أحد الرجال الذين يتابعون هذا التدريب نحو الرجل ، وسأل جاره بدهشة :

ــ إننى أراقبه منذ نصف ساعة وهو لم يتوقف لحظة ... ألا يشعر بالتعب ؟

هزّ جاره كتفيه ، وقال بدهشة مماثلة :

ــ لقد سألت نفسى هذا السؤال يا (صبحى) ، ولكننى لم أجد جوابًا .

عاد (صبحى) يسأله دون أن تزايله الدهشة :

ــ ولكن هذا مستحيل .. هل تعتقد أنه يتناول بعض الأدوية المنشطة ؟

هزّ جاره رأسه نفيا ، وقال :

ــ لا تذكر كلمة المستحيل عندما يتعلق الأمر بالمقدم (أدهم صبرى) يا (صبحى) ، لقد شاهدته

يفعل ما هو أكثر إثارة للدهشة من هذا التدريب ، الذى يمارسه بانتظام منذ خمسة أعوام تقريبا ، ثم إنه لا يتناول أيًا من أنواع المواد المنشطة ، فهذه الموادّ كما تعلم — ضارة للغاية — فهى تبعث نشاطا زائفا ، يعقبه انهيار جسدى شديد ، وهذا ما لا يلجأ إليه رجل عاقل .

ابتسم (صبحى) بدهشة وهو يقول :

— كم أحسد الملازم (هويدا) على عملها مع المقدم (أدهم) ، من المؤكد أن العمل معه متعة يا (شوق) .

ضحك (شوق) ، وقال :

— ولكنها متعة محفوفة بالخطر .. والخطر الشديد أيضا يا عزيزى (صبحى) ، فالمهام التى تسند إلى المقدم (أدهم) من نوع خاص .. نوع مميت .

تناول (صبحى) منشفة خاصة من فوق مقعد مجاور وهو يقول :

— ها قد انتهى من تدريبه ، وأعتقد أنه سيحتاج إلى هذه المنشفة ، فالعرق يتصبب منه بغزارة شديدة .

وفجأة تناول أحدهم المنشفة من يد (صبحى) وهو يقول بصوت رزين :

— دع عنك هذه المهمة أيها الرائد ، فأنا فى طريقى للتحدث إليه .

التفت (صبحى) نحو مصدر الصوت ، ثم اتسعت عيناه دهشة ، وأدّى التحية العسكرية بارتباك قائلا :

— عفوا يا سيادة المدير ، إن هذا لا يصح .

ابتسم مدير المخابرات ، وقال وهو يسير نحو (أدهم) :

— لا عليك أيها الرائد .. إننا هنا أسرة واحدة .

وبخطوات رزينة ثابتة توجّه مدير المخابرات نحو (أدهم) ، الذى وقف منتصبًا ، وارتفعت يده بالتحية وهو يبتسم بهدوء ، فقدّم إليه مدير المخابرات بالمنشفة وهو يقول :

— مضت فترة طويلة دون أن أشاهدك فى أثناء ممارستك لتدريباتك أيها المقدم ، ومن الملاحظ أنك تتقدم بسرعة .

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

— يرجع الفضل إلى الجدّية والمواظبة يا سيدى ، فأنا لا أتوقّف عن هذه التدريبات إلّا فى أثناء المهامّ الخارجية فقط .

ربّت مدير المخابرات على كتفه ، وقال باسما :

— بل يرجع الفضل إلى موهبتك وإصرارك أيها المقدم .

ثم اتسعت ابتسامته وهو يقول :

— ويبدو أن شهرتك قد طبقت الآفاق أيها المقدم بعكس المألوف فى عالم المخابرات ، فسيصل إلى مكتبى بعد نصف ساعة زميلان من رجال مخابرات إحدى الدول العربية الشقيقة ، وهما يطلبان مقابلتك شخصيا لمهمة خاصة .. مهمة تحتاج إلى رجل المستحيل .

* * *

٢ — المهمة الخاصة ..

ما أن دخل (أدهم صبرى) بقامته الفارعة ، وملامحه الوسيمة ، إلى مكتب مدير المخابرات حتى نهض من المقعدين المقابلين لمكتبه رجلان يحملان الملامح الشرقية ، وصافحاه بحرارة ،وهما يبتسمان بودّ ، فقال مدير المخابرات مبتسما :

— أقدّم لك الرائد (محمد) والنقيب (عماد) ، من المخابرات المغربية أيها المقدم ، وهما يطلبان معاونتك لأداء مهمة خاصة .

جلس (أدهم) على مقعد مجاور ، وابتسم وهو يقول :

— مرحبا بكما فى مصر أيها الشقيقان .. تسعدنى معاونة دولة عربية شقيقة بالطبع ، ولكننى ما زلت

مندهشا عن كيفية معرفتكما لى ، وطلبكما معاونتى بالذات .

ابتسم الرائد (محمد) ، وقال ببساطة :

ــ إن المخابرات المغربية أقوى مما يظن الجميع يا سيادة المقدم .. لقد ألقينا القبض على عميل لإحدى المخابرات المعادية للعرب ، وعثرنا معه على صورتك المرسومة بدقة ، ولقد أدّى استجواب هذا العميل إلى معرفة قدراتك المذهلة ، وأسلوبك الفريد فى عالم المخابرات ، مما دفعنا إلى محاولة الاستعانة بك فى المهمة التى سأخبرك بها الآن .

حدّق (أدهم) فى وجه الرائد (محمد) بتساؤل وقال :

ــ ألا تمتلك المخابرات المغربية رجلا مناسبا لأداء هذه المهمة ؟

تدخل النقيب (عماد) قائلا :

ــ لدينا رجال غاية فى البراعة يا سيادة المقدم ،

ولكن هذه المهمة بالذات تحتاج إلى رجل من خارج جهازنا .

ازداد التساؤل فى عينى (أدهم) ، على حين أشار الرائد (محمد) إلى النقيب (عماد) بالصمت ، ثم قال بصوت جادّ :

ــ فى الواقع يا سيادة المقدم إنك ستواجه رجلا من رجال المخابرات المغربية السابقين .. خائنا يعرف رجالنا جيدا ، ولن يمكن لأحدنا خداعه ؛ ولهذا لا بدّ أن يتولى المهمة وجه جديد .. وجه لم يقابله الخائن مطلقًا ، ولكنه كفء فى عالم المخابرات فى آن واحد .

استند (أدهم) إلى مقعده ، وضاقت عيناه وهو يضم كفيه أمام وجهه قائلا :

ــ رويدك أيها الرائد .. أعتقد أنه من الأفضل أن تشرح لى الأمر بهدوء وبالتفصيل ، حتى لا تختلط الأمور بذهنى .

تنهّد الرائد (محمد) وأشعل سيجارة نفث دخانها قبل أن يقول :

ــ حسنا فلنبدأ من البداية يا سيادة المقدم .. منذ ثلاثة أشهر تقريبا ، وسأقص عليك الأمر فى جزأين ، يبدأ أولهما فى الدار البيضاء حيث يقع مقر المخابرات المغربية ، وحيث كان يعمل هذا الخائن (أيمن بن على) .. لقد كان هذا الوغد يحمل رتبة رائد فى المخابرات المغربية ، وكانت مهمته تقتصر على فرز وتوزيع المعلومات التى ترد إلى الإدارة باستمرار من جميع أنحاء العالم ، إلى أن جاء اليوم الذى لعب فيه شيطان المال برأسه ، فتطلّع إلى الثراء والسطوة ، ولمّا كان مرتب ضابط المخابرات لا يكفى لتحقيق هذه المطامع العريضة فقد قرر (أيمن ابن على) أن يحقق أحلامه بوسيلة قذرة .

توقّف الرائد (محمد) عن الحديث ليلتقط أنفاسه ، وكان من الواضح أن قصة هذا الخائن تثير اشمئزازه ، إلى حدّ دفع بالنقيب (عماد) إلى إكمال القصة قائلا :

ــ لقد استولى هذا الخائن على بعض المخطوطات العسكرية الهامة ، وقائمة تضم أسماء جميع العاملين

بجهاز مخابراتنا ، وأماكن إقامتهم فى أنحاء العالم المختلفة ، وسافر إلى إمارة (موناكو) .. إلى عاصمتها (مونت كارلو) بالتحديد ، وأودع هذه المعلومات فى ظرف مغلق عند محام مجهول ، وطلب منه إذاعتها فى حالة وفاته حتى لو كانت الوفاة طبيعية ، ليمنعنا من محاولة التخلص منه بالطبع ، وأرسل إلينا يطلب ربع مليون دولار شهريا ثمنا لسكوته .

قاطعه الرائد (محمد) وهو يتابع القصة قائلا :

ــ يمكنك أن تسميها على وجه الدقة ثمنا لعدم إذاعته أسرارنا يا سيادة المقدم ، ومن هنا يبدأ الجزء الثانى من القصة فى (مونت كارلو) ، حيث أخذ هذا الخائن يبعثر أموال مخابراتنا على موائد القمار هناك ، على حين فشلت مخابراتنا طوال الأشهر الثلاثة الماضية فى العثور على المحامى المجهول ، الذى كلفه (أيمن بن على) هذه المهمة القذرة ، وأصبحنا فى موقف لا نحسد عليه .. أمامنا خائن يعبث بأموال المملكة المغربية ،

وتتزايد مطالبه باستمرار ، ونحن عاجزون عن التخلص منه خشية إذاعة أسرارنا عن طريق محامى المجهول ، والأدهى أن هذا الخائن يعرف رجالنا واحدا واحدا ، بحكم عمله السابق .

تدخل النقيب (عماد) قائلا :

ــ لهذا نحتاج إليك يا سيادة المقدم ، ولقد وضعنا خطة معقدة ، يمكنك بواسطتها أن ...

قاطعه (أدهم) بابتسامة هادئة وهو يرفع كفه أمام وجهه قائلا :

ــ لحظة أيها الشقيقان .. يمكنكما تزويدى بالمعلومات اللازمة فحسب ، أما بخصوص الخطة وأسلوب العمل فيمكنكما تركها لى .

تبادل الرجلان النظرات فى دهشة ، وظهر التردُّد على وجهيهما قبل أن يقول النقيب (عماد) :

ــ ولكن يا سيادة المقدم .. لا توجد سابقة لذلك فى أى جهاز للمخابرات فى العالم .. حتى المخابرات

المركزية الأمريكية ، فمن المعروف دائما أن رجل المخابرات يسير بناء على خطة مدروسة بعناية .

ابتسم (أدهم) وهو يميل إلى الأمام قائلا :

ــ وهذا ما يتوقعه الخصم دائما أيها النقيب ؛ ولذلك فإن الأسلوب الذى يعتمد على الارتجال يثير حيرته وارتباكه على الفور .

زوى الرائد (محمود) ما بين عينيه وهو يقول :

ــ إننى أختلف معك يا سيادة المقدم ، فقد ...

قاطعهم مدير المخابرات المصرى وهو يقول حاسما الخلاف :

ــ حسنا أيها الشقيقان .. ستخبران المقدم (أدهم صبرى) بخطتكما على أن يمتلك الحق فى التجاوز عنها إذا ما تبدَّلت الظروف .

عاد الرجلان إلى تبادل النظرات ، وساد الصمت دقائق قبل أن يبتسم الرائد (محمود) ، ويمدَّ يده نحو (أدهم) قائلا :

ــ اتفقنا يا سيادة المقدم .. متى يمكنك أن تبدأ العمل ؟

أشار (أدهم) إلى مدير المخابرات وهو يقول مبتسما :

ــ إذا وافق السيد المدير يمكننى أن أسافر إلى (مونت كارلو) بعد ساعة واحدة من الآن ، فهذه المهمة تروق لى جدًّا .

* * *

٣ ــ لقاء الخائن ..

استنشقت الملازم (هويدا كمال) هواء البحر النقى بعمق ، ثم ضمَّت كفيها الصغيرتين أمام وجهها ، وهى تقول بمرح مشوب بالانبهار :

ــ حدِّثنى يا سيادة المقدم حتى أتأكد من أننى لا أحلم .. إن هذه المدينة رائعة .. بل أكثر من رائعة ، إنها أجمل مدن العالم .

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال وهو يعدل من وضع رباط العنق الصغير الذى يرتديه :

ــ فلندع الله ــ سبحانه وتعالى ــ ألا يتلوث هذا المشهد الجميل بالدماء بسببنا أيتها الملازم .

نظرت إليه (هويدا) بتحدّ وهى تقول :

ــ لا أصدِّق أن مثل هذه المهمة تسيل فيها الدماء يا سيادة المقدم ، إنها مهمة تحتاج إلى الدهاء والحنكة ،

لا إلى عضلاتك المنتفخة .

قال (أدهم) بتهكم :

ــ وماذا لو أن هذا الوغد يحيط نفسه بعدد من العمالقة البلهاء لحراسته ، أو للشعور بالعظمة ؟

هزَّت (هويدا) كتفيها بلا مبالاة وهى تقول :

ــ لو أننا تقاتلنا مع مثل هؤلاء الحراس ، الذين لا يتواجدون إلا فى مخيلتك يا سيدى فإن هذا سيعنى أن مهمتنا قد فشلت .

ضحك (أدهم) ضحكة قصيرة ساخرة ، ثم قال :

ــ حسنا أيتها الملازم .. فلنقل : إننى من النوع المتشائم بعض الشىء ؛ ولذلك فسنتوقف عن هذا اللغو لنتوجَّه إلى (كازينو رويال) حيث يقضى الخائن سهراته .

ثم همَّ بالخروج عندما استوقفته (هويدا) وهى تسأله باهتمام بالغ :

ــ لحظة يا سيادة المقدم ، كنت أريد أن أسألك عن أمر هام .

التفت إليها (أدهم) باهتمام ، فقالت وهى تتحسس ثوبها بعناية :

ــ هل تعتقد أن ثوبى هذا ملائم لملهى فخم مثل (كازينو رويال) ؟

حدَّق (أدهم) فى وجهها بدهشة ، ثم هزَّ رأسه وهو يبتسم بسخرية متمتمًا :

ــ يا للنساء !!

ثم غادر الغرفة دون أن يهتم حتى بإجابة سؤالها .

* * *

كان الملهى الفاخر يعجُّ بالروَّاد ، ولكن عينَىْ (أدهم) بحثتا بدقة واهتمام عن رجل بعينه ، حتى وقع بصره عليه ، فابتسم وهو يهمس فى أذن (هويدا) قائلا :

ــ ها هو ذا ضالتنا أيتها الملازم .. ثالث رجل إلى اليمين أمام مائدة (الروليت) .

اختلست (هويدا) النظر إلى الرجل الذى تحدث

عنه (أدهم) ، وأخذت تتأمله بعناية نابعة من مزيج من الاهتمام بالعمل والفضول الأنثوى ..

كان رجلا طويل القامة ، أسود الشعر ، وسيم الملامح ، له أنف مستقيم ، وعينان خضراوان بلون الزرع ، وشارب غزير مهذب ، وقد بدا مرحا وغير مبال وهو يلقى بمبلغ ضخم على مائدة القمار ، على حين وقفت بجواره حسناء شقراء تدخن سيجارة رفيعة بهدوء ، وقد تركزت عيناها الزرقاوان الواسعتان على عجلة (الروليت) باهتمام شديد ، نمَّ عن طبيعتها المادِّية ، وزمَّت شفتيها الصغيرتين بعصبية وقلق ، مع دورات العجلة الخائنة ..

عادت (هويدا) تلتفت إلى (أدهم) ، وتقول بسخرية :

ــ يبدو أن السيد (أيمن بن على) قد اتخذ صديقة فرنسية ، كما يحدث فى الأفلام الأمريكية .

ابتسم (أدهم) بسخرية وهو يقول :



كان رجلا طويل القامة ، أسود الشعر ، وسيم الملامح ..

— هل كنت تطمحين إلى العمل فى السينما أيتها الملازم ؟

زمّت (هويدا) شفتيها بغضب وهى تقول :

— أعتقد أن مهمتنا تختص بهذا الخائن يا سيادة المقدم لا بميولى السابقة .

همّ (أدهم) بالنهوض وهو يقول :

— حسنا أيتها الملازم ، سنؤجل هذا الحوار لما بعد ، أمّا الآن فسنبدأ بتنفيذ الخطة .

زوَت (هويدا) ما بين حاجبيها وهى تقول بمزيج من الغضب والتحدى :

— لحظة يا سيادة المقدم .. لنبدأ بتغيير هذا الأسلوب الذى اعتدت معاملتى به .

عاد (أدهم) يجلس فى مقعده ، وحدّق فى وجهها ببرود وهو يقول :

— أعتقد أنه من الأفضل أن أبدأ بتغيير زميلتى ما دامت مصرّة على التعامل بهذا الأسلوب العنيد أيتها الملازم .

قالت (هويدا) بعصبية واضحة :

— أوافقك على هذا الرأى ما دام أسلوبك يعتمد على معاملتى وكأننى كمّ مهمل ، فلا تهتم حتى بأن تشرح لى خطتك ، وإنما تفاجئنى بها كما يحدث مع الخصم .

ظلّ (أدهم) صامتا فترة قصيرة وهو يحدّق فى وجهها ببرود قبل أن يقول :

— ما الذى تريدين معرفته أيتها الملازم ؟

ازدادت عصبية (هويدا) وهى تشير بيدها قائلة :

— كل شىء يا سيادة المقدم .. إننى لا أعلم شيئا عما تودّ فعله مع ذلك الرجل .

عاد (أدهم) إلى صمته لحظة ، ثم قال :

— حسنا أيتها الملازم .. سأخبرك بما نحن بصدده ، ولكننى لن أغفر لك عدم إطاعتك للأوامر بعد ذلك .. إننا باختصار أمام مهمة معقدة ، تتلخص فى الحصول على المعلومات التى يحتفظ بها هذا الرجل فى

مكان مجهول ، ومنعه من إعلانها فى الوقت نفسه .. وهذا الرجل خبير بأعمال المخابرات ، وليس من السهل خداعه بالوسائل التقليدية ؛ ولذلك فسنتبع وسيلة معقدة لنحاول إقناعه بتسليمنا هذه المعلومات بنفسه .

ضحكت (هويدا) ضحكة قصيرة ، تجمع بين العصبية والسخرية وهى تقول :

— وهل تعتقد أنك قادر على خداعه ؟.. هل تظن أنك تستطيع إقناعه بتسليمنا السلاح الوحيد الذى يضمن له العيش الآمن ؟

مال (أدهم) على أذنها ، وهو يبتسم بثقة قائلا :

— إنه لن يسلمنا المعلومات أيتها الملازم .. بل سيبيعنا إياها .

حدّقت (هويدا) فى وجهه بدهشة ، ولكنه لم يهتم بذلك ، بل نهض من مقعده ، وتوجّه بهدوء إلى حيث يقف (أيمن بن على) ، ورفيقته الفرنسية ، فزوت (هويدا) ما بين حاجبيها وهى تتمتم بغضب :

— اللعنة !! إنه لم يخبرنى بشىء !

* * *

مالت الفرنسية الشقراء على أذن (أيمن بن على) ، وهمست بغضب :

— يجب أن تكف يا (أيمن) .. لقد خسرت حتى الآن ما يقرب من عشرة آلاف دولار .

ضحك (أيمن) باستهتار ، وقال :

— لا عليك يا عزيزتى ، إن هذا المبلغ التافه لا يؤثر فى ميزانيتى مطلقا .

وهنا همس (أدهم) فى أذنه بلهجة جافة :

— ولكنه يؤثر فى ميزانية دولتك يا سيد (أيمن) .

التفت إليه (أيمن) بدهشة وذعر ، ثم حدّق فى ملامحه بتحدّ ، وقال :

— اسمع أيها الرجل .. إن أمورى لا تعنيك ، وأرجو أن تبلغ الزملاء فى المغرب أن يكفوا عن إثارة غضبى ، وإلّا .....

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال :

ــ فى الواقع يا سيد (أيمن) أننى لم أزر المملكة المغربية من قبل مطلقًا ، وإن كنت ملمًّا ببعض ما يدور فى دهاليزها السِّرِّيَّة .

دار (أيمن) بجسده كله ليواجه (أدهم) ، وقال :

ــ اسمع مرة ثانية أيها الرجل .. إنك لن تنجح أبدا فى خداع رجل مثلى ..

رفع (أدهم) حاجبيه إلى أعلى وهو يقول ببساطة :

ــ ومن ذا الذى يحاول خداعك ياسيد (أيمن) .. يبدو أنك لم تفهمنى جيدا .. هل لى أن أدعوك إلى مائدتى لنتحدث فى الأمر معًا ؟

وهنا تدخلت الفرنسية قائلة بلغتها :

ــ ما الذى يقوله هذا الرجل يا عزيزى (أيمن) ؟

نظر إليها (أدهم) ببرود ، وأدهشته نظرة التحدى التى برقت فى عينيها ، والابتسامة الغامضة التى تراقصت على شفتيها ، على حين قال (أيمن) بالفرنسية :

ــ لا تهتمى يا عزيزتى (برجيت) ، إن هذا المغفل يحاول خداعى ، ولكننى سوف ..

وضع (أدهم) كفه على كتف (أيمن) ، وضغطه بقوة مؤلمة وهو يقول بصوت مخيف خافت :

ــ لو أننا فى ظروف أخرى لقطعت لسانك من أجل كلمة (مغفل) هذه أيها المغربى .

التفت إليه (أيمن) قائلا بذعر :

ــ ما الذى تريده منى أيها الرجل ؟

ابتسم (أدهم) وهو يقول بصوت غامض :

ــ أريد أن أدعوك إلى مائدتى يا سيد (أيمن) ، وربّما أمكنك استنتاج ما سأتحدث إليك بشأنه لو علمت أننى أُدْعَى (إسحق مائير) !!

* * *

٤ ــ الصفقة المحيِّرة ..

تناول (أيمن بن على) رشفة من الكأس التى أمامه ، ثم حدَّق فى وجه (أدهم) و (هويدا) بشك قبل أن يقول باللغة العربية :

ــ هل تريد منى أن أصدِّق أن مخابرات دولتك تريد شراء المعلومات التى أمتلكها يا مسيو (مائير) ؟

هزَّ (أدهم) كتفيه وهو يقول :

ــ وما الذى يثير العجب فى ذلك يا سيد (أيمن) ؟ إننا ننفق ملايين الدولارات من أجل الحصول على أية أسرار عسكرية تمتلكها دولة عربية ، وليس هناك ما يمنع إنفاقنا للملايين نفسها دون تعريض رجالنا للمخاطر ، ما دمنا سنحصل على المعلومات نفسها .

صمت (أيمن) لحظة ، ثم قال :

ــ ولكنكم تعلمون أن وجود هذه الأسرار بحوزتى

يضمن لى عدم انتقام المخابرات المغربية منى ، فكيف أسلمها لكم هكذا ؟

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

ــ ومن الذى سيخبر المخابرات المغربية أن المعلومات لم تعد بحوزتك يا سيد (أيمن) ؟.. ستسلمنى المعلومات وأسلمك عشرة ملايين دولار ، وتظل تتقاضى ربع المليون دولار شهريا من حكومتك ، وكأنك ما زلت تمتلك المعلومات .

برقت عينا (أيمن) بجشع ، ثم تمتم بصوت خافت :

ــ إن عشرة ملايين دولار مبلغ يسيل له اللعاب يا مسيو (مائير) ، ولكن .. كيف يمكننى التأكد من أن هذا الأمر ليس مجرد خدعة لدفعى إلى تسليم المعلومات ؟

استند (أدهم) إلى ظهر مقعده ، وقال ببرود :

ــ ما الضمانات التى تريدها يا سيد (أيمن) ؟

ابتسم (أيمن) بخبث وهو يقول :

ــ ليس ضمانات بالمعنى المفهوم يا مسيو (مائير) ، ولكننى سأسميها تعديل بسيط فى الخطة التى وضعتها أنت .

ظلّ (أدهم) صامتا على حين ضاقت عينا (هويدا) وهى تتطلع إلى (أيمن) بحذر ، أما (برجيت) فقالت بضيق وعصبية :

ــ لِمَ لا تتحدثان بالفرنسية حتى يمكننى أن أفهم ما تقولانه ؟

التفت إليها (أيمن) وقال بصرامة :

ــ إن ما نتحدث بشأنه لا يخص النساء أيتها الفرنسية .

قطّبت (برجيت) حاجبيها بغضب ، وأشعلت إحدى سجائرها بعصبية ، على حين التفت (أيمن) إلى (أدهم) وعاد يقول باللغة العربية :

ــ معذرة يا مسيو (مائير) ، سنعود إلى حديثنا السابق .. كنت أقول : إننى سأجرى تعديلا بسيطا فى

الخطة .. سأسلمك المعلومات ، وأحتفظ بها فى الوقت نفسه .

مال (أدهم) وهو يسأله بدهشة :

ــ ماذا تعنى يا سيد (أيمن) ؟

ابتسم (أيمن) بمكر وهو يقول :

ــ أعنى أننى سأتقاضى الملايين العشرة مقابل نسخة من المعلومات يا مسيو (مائير) ، ولكننى سأحتفظ بالأصل .. وأعتقد أن هذا لن يضير مخابراتك على الإطلاق .

شعرت (هويدا) بالحنق ، فقالت لنفسها :

ــ يا للدهاء !! إن هذا الرجل يفكر كالثعالب .

أما (أدهم) فإنه ابتسم ببساطة وكأن الأمور لم تتبدل ، وقال بهدوء :

ــ اتفقنا يا سيد (أيمن) .. متى سأحصل على المعلومات ؟

أجابه (أيمن) بمرح وهو يمسك بكأسه :

ــ صباح بعد غد يا مسيو (مائير) ، ولكن تذكر أننى سأتقاضى المبلغ نقدا

* * *

أخذت (هويدا) تسير بعصبية فى أنحاء الغرفة ، ثم التفتت إلى (أدهم) وسألته بغضب :

ــ هل لك أن تخبرنى عن فائدة نسخة من المعلومات ما دام هذا الخائن سيحتفظ بالأصل ؟.. ثم كيف ستعطيه الملايين العشرة ؟.. من أين لنا بها ؟

كان (أدهم) يوليها ظهره وهو منهمك فى عمله ، فقال بهدوء :

ــ إن الحصول على الملايين العشرة لا يقلقنى أيتها الملازم ، ولكننى أهتم بالوسيلة التى سيحصل بها هذا الوغد على النسخة التى يحتاج إليها من المعلومات .

أشاحت (هويدا) بذراعها وهى تقول بغضب :

ــ إن هذا لا يحتاج إلى الكثير من الذكاء ، سيحصل عليها من محاميه المجهول بالطبع

ثم توقفت فجأة وبرقت عيناها وهى تقول :

ـــ يا إلهى !! إذن فهذا ما تهدف إليه يا سيادة المقدم !.. التوصل إلى ذلك المحامى المجهول ! يا لك من عبقرى !!

استدار (أدهم) ليواجهها وهو يبتسم بسخرية ، فاتسعت عيناها وهى تحدّق فى وجهه بذهول ، ثم خرجت من بين شفتيها ضحكة عصبية قصيرة قبل أن تقول :

ـــ يا إلهى !! لقد تغيرت ملامحك تماما .. الشعر الأشقر ، والعيون الزرقاء .. وهذا الأنف المعوّج .. إنها المرة الأولى التى أراك فيها متنكرا .. يا للعجب !! إنك تبدو فرنسيا من رأسك حتى أخمص قدميك .

تجاهل (أدهم) تعليقها ببرود ، وقال وهو ينظر فى ساعته باهتمام :

ـــ سأبدأ بعد خمس دقائق مراقبتى لهذا الخائن أيتها الملازم ، وعليك ملاحظة صديقته الشقراء ، فقد يفكر

فى إرسالها بدلا منه ، تحاشيًا للمراقبة .. وينبغى ألا تغفل عيوننا لحظة واحدة ، فلو نجح هذا الوغد فى الحصول على النسخة التى تلزمه من المعلومات دون أن نتوصل إلى ذلك المحامى المجهول فستصبح خطتنا فاشلة تمامًا .

* * *

أشعل (أيمن بن على) سيجارا ضخما ، ونفث دخانه فى الهواء ، ثم أحاط كتف (برجيت) بذراعه وهو يقول ضاحكا :

ـــ من تظنيننى يا عزيزتى (برجيت) ؟.. غِرّ ساذج !.. إننى أتوقع بالطبع أن يحاولوا مراقبتى لمعرفة مكان المحامى الذى أخفى لديه المستندات ، ولكنهم لن ينجحوا ، فلن أذهب مطلقا إلى هناك .

ابتسمت (برجيت) ابتسامة أودعتها كل جاذبيتها ، وقالت وهى تداعب رباط عنقه :

ـــ دعنى أخمن أيها العبقرى .. سترسلنى أنا لإحضارها ، أليس كذلك ؟

قهقه (أيمن) ضاحكا ، وقال :

ـــ كلا بالطبع أيتها الحسناء ، فهم سيتوقعون هذا التصرف ، وسيراقبونك بالتأكيد ، ولقد تصرفنا معًا بذكاء عندما أوهمنا مسيو (مائير) وزميلته أنك خارج اللعبة ، ولكن ذلك لا يمنع من استعانتى بك تحاشيا للمراقبة .. ولكننى سأحصل على نسخة المستندات بأسلوب لن يتوقعوه مطلقا .

ضاقت عينا (برجيت) وهى تسأله بفضول شديد :

ـــ كيف يا عزيزى (أيمن) ؟

ضحك (أيمن) مرة ثانية وهو يربِّت على كتفها قائلا :

ـــ معذرة أيتها الفرنسية الجميلة ، إن بداخلى بقايا مهنة قديمة تدفعنى دائما إلى الاحتفاظ بكل وسائلى سرًّا ، فالنساء كما تعلمنا قديمًا لا يحسنون الاحتفاظ بالأسرار .

ثم برقت عيناه بخبث وهو يستطرد قائلا :

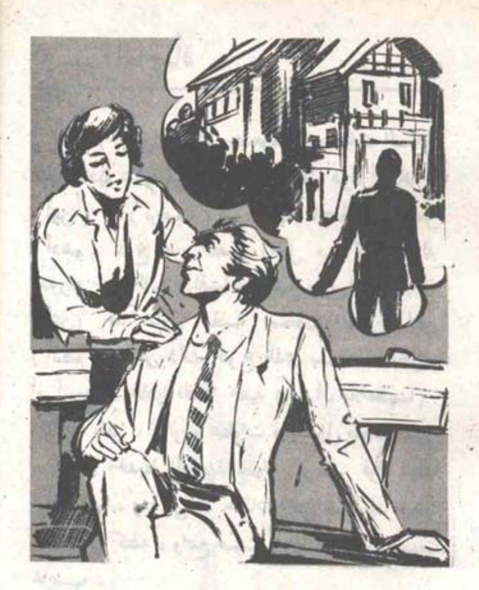
ـــ ولكننى سأعدُّ مفاجأة مذهلة لمسيو (مائير) ، وزميلته الحسناء .

* * *



٥ ـ المفاجأة ..

قاوم (أدهم) النعاس بصعوبة عندما بلغت الساعة تمام الحادية عشرة من صباح اليوم التالى دون أن يخرج (أيمن) أو (برجيت) من فيلتهما الصغيرة ، وشعر (أدهم) بمزيج من التعب والملل من كثرة تجواله ودورانه حول الفيلا لمراقبتها من جميع جوانبها ، ولولا أن (أيمن) قد تناول بنفسه صحف الصباح لظن (أدهم) أنه من ذلك النوع الذى يستيقظ متأخرًا ، أو أنهما قد غادرا الفيلا خفية دون أن يلاحظهما .. وتثاءب بقلق ، ثم توجه بخطوات هادئة إلى مقعد خشبى صغير فى الحديقة المواجهة للفيلا ، وجلس فوقه معلقا عينيه ببابها ، وما هى إلا لحظات حتى شعر بيد صغيرة توضع على كتفه ، وسمع صوت (هويدا) تقول بصوت غاضب :



وما هى إلا لحظات حتى شعر بيد صغيرة توضع على كتفه ، وسمع صوت (هويدا) ..

ـ يمكنك أن تتوقف عن المراقبة يا سيادة المقدم ، فقد حصل (أيمن بن على) على النسخة التى يحتاج إليها .

التفت إليها (أدهم) بدهشة ، وقال :

ـ كيف توصَّلتِ إلى هذه المعلومات السخيفة أيتها الملازم ؟

جلست (هويدا) إلى جواره بعصبية وهى تقول :

ـ عندما تركتك وعدت إلى الفيلا فى العاشرة والنصف اتصل بى (أيمن بن على) ، وكان صوته يحمل نبرة ساخرة وهو يخبرنى أنه قد حصل على نسخة المستندات ، وأنه سيقدمها لنا اليوم وليس غدا ، ثم طلب منى بسخرية مريرة أن أطلب من الأشقر الذى يراقب الفيلا أن يذهب للنوم ، فلم يعد لجلوسه فائدة .

زوى (أدهم) ما بين حاجبيه ، وضاقت عيناه غضبا وهو يقول :

ـ ولكنهما لم يغادرا الفيلا مطلقا .. إن هذا الوغد يحاول خداعنا ، أو ..

برقت عينا (أدهم) فجأة ، وصمت لحظة قبل أن يقول بصوتٍ خافت غاضب :

ـــ يا لى من غبى !! كيف لم أنتبه إلى ذلك ؟ إن موزعى الصحف فى (مونت كارلو) يضعونها عادة أمام الأبواب حتى يتناولها أصحابها فور استيقاظهم ، أما الرجل الذى أحضر الصحف هذا الصباح فقد دقّ جرس الباب دون تردد ، وتناول (أيمن) الصحف منه وصافحه .. إنّ موزع الصحف هذا لم يُحضِرْ سوى نسخة المستندات أيتها الملازم .. لقد خدعنا هذا الوغد .

ظلت (هويدا) صامتة وهى تعض على شفتيها بغيظ إلى أن قال (أدهم) بهدوء :

ـــ لا عليك أيتها الملازم ، إن الأمر لم ينته بعد وأمثالنا تقول : إن من يضحك أخيرا يضحك كثيرا .. سنواصل اللعبة دون أن نلتفت إلى الخسائر كما يحدث عادة فى الحروب .

سألته (هويدا) بلهجة أقرب إلى اليأس :

ـــ وماذا سنفعل بعد أن فشلنا فى تحقيق الهدف من خطتنا ؟

ابتسم (أدهم) بسخرية وهو يقول :

ـــ إننا لم نفشل بعد أيتها الملازم .. كل ما حدث هو أننا قد خسرنا جولة واحدة ، ولكننا سنكمل المباراة حتى نهايتها .. ثم إنك لم تخبرينى بعد متى وكيف سيقابلنا هذا الوغد ليسلمنا النسخة التى يمتلكها ؟

أجابت (هويدا) بصوت خافت مستسلم :

ـــ فى الواحدة تماما فى يخته المسمى باسم صديقته الفرنسية (برجيت) .

أطلق (أدهم) ضحكة تهكمية قصيرة ، وقال :

ـــ يا للثراء !! يخت خاص ، وفيلا أنيقة فى أرقى أحياء (مونت كارلو) .. يبدو أيتها الملازم أن هذا الخائن سيصاب بانهيار عصبى عندما ننزع منه كل هذه الامتيازات .

* * *

أشارت عقارب الساعة إلى تمام الواحدة عندما توقفت سيارة (أدهم) فى ميناء (مونت كارلو) الصغير أمام اليخت (برجيت) ، وهبط منها (أدهم) و (هويدا) ، ليتوجها من فورهما إلى اليخت الصغير ، حيث جلس (أيمن بن على) يدخن سيجاره الضخم ، وإلى جواره جلست (برجيت) مرتدية ثوب بحر ، وعلى عينيها منظار شمس كبير ، فحياهما (أدهم) بإيماءة من رأسه ، ثم قال :

ـــ هل أحضرت الأوراق يا سيد (أيمن) ؟

ابتسم (أيمن) بخبث ، وقال :

ـــ ليس الآن يا مسيو (مائير) ، سنبتعد باليخت قليلا عن الميناء ، ثم نتحدث فى العمل .

مطّ (أدهم) شفتيه متظاهرا بالملل وهو يقول :

ـــ إنك تضيع وقتى يا سيد (أيمن) ، ولكن لا بأس .. سأحتمل أنا وزميلتى هذه السخافات حتى النهاية .

وبإشارة من يد (أيمن) تحرك اليخت مبتعدا عن الميناء الصغير ، والتفت هو إلى (أدهم) قائلا :

ـــ معذرة يا مسيو (مائير) ، ولكننى لا أحب التحدث إلى الرجال المسلحين .. هل تسمح بأن تناولنى سلاحك ؟ ولتفعل زميلتك المثل .

أخرج (أدهم) مسدسه بهدوء ، وقذف به إلى أحد الرجال الثلاثة ، الذين يعنون بشأن اليخت ، على حين تردّدت (هويدا) لحظة ، ثم فتحت حقيبتها الصغيرة ، وناولت الرجل مسدسها ، فابتسم (أيمن) بانتصار ، وقال وهو ينفث دخان سيجارته :

ـــ أعتقد أن عشرة ملايين دولار مبلغ ضخم يا مسيو (مائير) ، ومن الصعب أن تضعه فى جيوبك .. أين هو إذن ؟

ابتسم (أدهم) ساخرا ، وقال :

ـــ ستتسلم المبلغ كاملا عندما أتأكد من صحة النسخة التى تحملها معك يا سيد (أيمن) .

تراقصت ابتسامة ماكرة على شفتى (أيمن) وهو ينهض قائلا :

ـــ حسنا يا مسيو (مائير) ، هذا أسلوب المحترفين .. سنتحدث معًا فى كابينة اليخت ، وسأسمح لك بالاطلاع على المستندات ، ولكننى لن أسلمك إياها إلا عندما أتسلم المبلغ .

تبعه (أدهم) إلى الكابينة وهو يقول ببساطة :

ـــ اتفقنا يا سيد (أيمن) .

وما هى إلا لحظات حتى جلس الجميع عدا (برجيت) داخل الكابينة ، وناول (أيمن) مظروفا ضخما لـ (أدهم) وهو يقول :

ـــ ها هى ذى المستندات يا مسيو (مائير) ، يمكنك مراجعتها بدقة .

ألقى (أدهم) نظرة سريعة على المستندات ، ثم طوّح بها إلى مائدة قريبة وهو يقول :

ـــ إنها نسخة غير واضحة يا سيد (أيمن) ، وأنا

أشك فى صحتها ، لِمَ لا تحتفظ بها وتعطينا المستندات الأصلية ؟

وهنا سمع الجميع صوت (برجيت) وهى تقول بالفرنسية :

ـــ سنكتفى نحن بهذه النسخة يا مسيو (مائير) المزيّف .

التفت الجميع إلى مدخل الكابينة ، فطالعتهم (برجيت) ، وقد خلعت منظارها الشمسى واستندت بتراخ إلى الباب مصوبة مسدسًا ضخمًا إليهم ، فصاح (أيمن) بدهشة :

ـــ هل أصابك الجنون يا (برجيت) ؟ إننا نتعامل مع مسيو (مائير) كصديق ، وليست لنا حاجة إلى تهديده .

ابتسمت (برجيت) بسخرية وهى تقول :

ـــ أين هو هذا الرجل ؟.. إننى لا أرى داخل هذه الكابينة من يسمى باسم (مائير) .

ثم توجهت بنظراتها إلى (أدهم) وهى تقول بسخرية أشد :

ـــ كل ما أراه هو ضابط مخابرات مصرى يُدعَى (أدهم صبرى) !!

* * *

٦ ـــ الصراع المزدوج ..

حدّقت (هويدا) فى (برجيت) بذهول ، وابتسم (أدهم) بسخرية ، على حين ألقى (أيمن) سيجاره بعصبية وهو يقول بغضب :

ـــ لن أحتمل هذا العبث دقيقة أخرى أيتها الفرنسية الحمقاء ، ما شأن المخابرات المصرية بنا ؟

صوّبت (برجيت) مسدسها إلى رأسه بقسوة وهى تقول :

ـــ كف عن التحدث إلىّ بهذا الأسلوب المتغطرس أيها المغربى الغبىّ وإلا حطّمت رأسك بهذه اللعبة القاتلة .

امتقع وجه (أيمن) ، ولزم الصمت ، فالتفتت (برجيت) إلى (أدهم) ، وقالت :

ـــ أنت جرىء للغاية أيها الشيطان المصرى .. لقد

تقمّصْت شخصية أحد رجالنا ، وكدت تنجح فى الوصول إلى ما نسعى إليه .

ضحك (أدهم) ضحكة قصيرة ساخرة قال بعدها :

ـــ إن تقمُّصى شخصية رجل من مخابراتكم لا يحتاج إلى الجرأة ، بل إلى دواء مضاد للاشمئزاز فقط يصبح بعده الأمر سهلا .

ظهر الغضب على وجه (برجيت) وهى تقول :

ـــ تماما كما أخبرونا عنك أيها الشيطان ، مغرور وعنيد .. ترى ما شعورك عندما هزمتك امرأة ؟

التفت (أدهم) إلى حيث يقف (أيمن) ، وقال بسخرية :

ـــ أعتقد أنه من الأفضل توجيه هذا السؤال للسيد (أيمن) ، الذى كان يظن نفسه ملك الدّهاء .

عضّ (أيمن) شفتيه وهو يقول :

ـــ كان ينبغى من البداية أن أنتبه إلى أسلوب تعارفنا يا (برجيت) .. كان من الواضح أنك تسعين

لصداقتى بشكل غير طبيعى ، ولكننى لم أهتم بتفسير ذلك .. لقد ظننته ...

قاطعته (برجيت) قائلة بسخرية :

ـــ إن لنا ـــ معشر النساء ـــ سحرًا خاصًّا أيها المغربى .

أفلتت ضحكة عصبية من بين شفتى (أيمن) ، ثم قال :

ـــ والآن ماذا تريدين بعد حصولك على المستندات؟.. هل ستطلقين علينا النار ؟..

هزت (برجيت) رأسها نفيا ، وقالت :

ـــ ربما أطلقت النار على مسيو (أدهم) ، وزميلته الحسناء أيها المغربى ، أمّا أنت فنحن نريدك حيًّا .

حدّق (أيمن) فى وجهها بدهشة ، فابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال :

ـــ هذا صحيح يا سيد (أيمن) ، فموتك سيؤدّى إلى إذاعة الأسرار وفقدانها لقيمتها ، أمّا لو ظللت حيًّا

فإن هذه الدولة وحدها تكون قد حصلت على الأسرار دون أن تدرى بذلك المملكة المغربية .. إنهم يقدّمون لك فرصة العمر أيها الوغد ، ولكن المشكلة أنهم قد حصلوا على المعلومات مجانًا .

وهنا تعالى صوت طائرة مروحية تقترب ، فأشارت (برجيت) إليهم بمسدسها باسمة :

ـــ ها قد حضر الزملاء لاصطحابى .. هلموا جميعا إلى سطح اليخت .

خرج الجميع إلى سطح اليخت ، ولاحظ (أدهم) أن الرجال الثلاثة على ظهره يصوبون مسدساتهم إليهم ، فضحك بسخرية ، وقال وهو يربّت على ظهر (أيمن):

ـــ أراهنك أن صديقتنا الحسناء (برجيت) هى التى اختارت هؤلاء الرجال الثلاثة للعمل على ظهر اليخت ، أليس كذلك يا ملك الأذكياء ؟

عضّ (أيمن بن على) على شفتيه بغيظ ، وضحكت (برجيت) بسخرية ، على حين توقفت الطائرة

المروحيّة فوق اليخت تماما ، وتدلّى منها سلم من الحبال أمسكت (برجيت) بطرفه وهى تقول :

ـــ إننى كما ترى رقيقة للغاية أيها الشيطان المصرى ، ورقّتى هذه تدفعنى إلى عدم رؤية الدماء ؛ ولذلك سأسمح لك بمشاهدتى وأنا أبتعد حاملة المستندات فى الطائرة ، وأمتع نفسى برؤية علامات الهزيمة فى ملامحك قبل أن يطلق رجالى النار عليك وعلى زميلتك ، ولكنهم سيتركون المغربى بناء على أوامرى .. وداعا يا مسيو (صبرى) .

وما أن أتمت عبارتها حتى تعلقت بالسلم المصنوع من الحبال ، ومالت الطائرة المروحية فى طريقها للابتعاد ، على حين أطلقت (برجيت) ضحكة ساخرة عالية وهى تلوح بالمظروف الذى يحتوى على المعلومات .

* * *

عندما فكر الأدباء منذ مئات السنين فى اختيار عبارة تناسب السرعة الفائقة اختاروا سرعة البرق ، ولكن

لو قدر لأحدهم أن يشاهد ما حدث على ظهر اليخت الصغير المسمى (برجيت) لفكر طويلا فى أن هذه العبارة لم تعد مناسبة .

فقد تحرَّك (أدهم) و (هويدا) فى آن واحد ، فقفز هو عاليا وركل مسدسى أقرب رجلين إليه ، على حين أطاحت هى بمسدس الرجل الثالث بضربة رشيقة ، وعندما انقضَّت قبضة (أدهم) لتحطم أسنان الرجل الأول ، واستقرت قبضته الأخرى فى معدة الثانى ، كانت راحة (هويدا) قد أصابت عنق الرجل الثالث بضربة فنية أفقدته الوعى ، وعندما استدارت بسرعة ورشاقة لتعاون (أدهم) فوجئت به يندفع نحو سور اليخت ، ويقفز لتلمس قدمه حافته ، ثم يطير فى الهواء كما يحدث دائما فى قاعة الرياضة الملحقة بمبنى المخابرات المصرية ، وبدلا من أن يتعلق بالعقلة المدلاة من سقف القاعة عادة تعلق (أدهم) بطرف السلم المدلَّى من الطائرة المروحية قبل أن تبتعد بالقدر الكافى ، ثم دار

بجسده نصف دورة معتمدا على الدرجة السفلى للسلم ، وركل (برجيت) ــ التى لم تكن قد أكملت صعودها بعد من شدة الذهول ــ فى وجهها ، فألقى بها هى والمظروف الذى تمسك به فى البحر ، وأفلتت قبضته من السلم ليسقط خلفها ويغوص جسداهما إلى الأعماق ...

جرت كل هذه الأحداث فيما لا يزيد على الثوانى الخمس ، حتى أن قائد الطائرة المروحيَّة لم يشعر بما حدث إلا بعد سقوط (أدهم) و (برجيت) فى الماء ، فاستدار بطائرته مهاجما اليخت ، إلَّا أن (هويدا) أسرعت تتناول أحد المسدسات الملقاة على السطح ، وأطلقت منه عدة أعيرة نارية مسددة بإحكام ، أصابت كلها بدقة خزان الوقود أسفل الطائرة ، وتسرَّب منها خط رفيع مشتعل ، فأسرع قائدها محاولا الابتعاد ، إلَّا أن الطائرة المروحية لم تبتعد أكثر من عشرة أمتار ، ثم انفجرت بدوىً هائل ، فقفزت (هويدا) عاليا وهى



جرت هذه الأحداث فيما لا يزيد على الثوانى الخمس ..

تصرخ بصيحة انتصار ، ولكنها فوجئت بلكمة قوية خلف أذنها ، أفقدتها الوعى ، وابتسم (أيمن) بشراسة وهو يسرع نحو محرك اليخت قائلا :

ــ لا تتعجلى النصر أيتها الفتاة ، إن أحدكم لم يهزم (أيمن بن على) بعد .

* * *

قاتلت الفرنسية الشقراء بشراسة تحت سطح الماء مع (أدهم) ، وقبضتها متشبثة بالمظروف الذى يحتوى على المعلومات ، وكانت حلة (أدهم) الكاملة تعوق حركته ، ولكنه لجأ إلى استغلال قدراته الخارقة ، وقوة رئتيه ، فجذبها من شعرها الأشقر ، وأجبرها على البقاء تحت سطح الماء أطول فترة ممكنة ...

جحظت عينا (برجيت) وهى تشعر بحاجتها الشديدة لاستنشاق الهواء ، وحاولت بيأس التغلب على قبضة (أدهم) الفولاذية ، ولكن هيهات ؛ إذ سرعان ما تراخت قبضتها عن المظروف ، فأسرع (أدهم)

يلتقطه قبل أن تغيب هى عن الوعى تماما .

صعد (أدهم) بسرعة فوق سطح الماء ، وهو يمسك (برجيت) بإحدى ذراعيه ، ويده الأخرى تمسك بالمظروف الهام ، وجذب نفسا عميقا من الهواء ، ثم تطلّع حوله بدهشة ، وسرعان ما تحوّلت دهشته إلى ابتسامة ساخرة وهو يقول :

ـ يبدو أن هذا الخائن قد استغل تصارعنا وفر باليخت بعيدا ، وسأضطر إلى السباحة طويلا بهذا الحمل الثقيل .

ثم زوى ما بين عينيه فجأة وهو يقول لنفسه بقلق :

ـ المهم ألا يكون قد أساء إلى (هويدا) ، وإلّا فسأضطر إلى تمزيقه إربا .

* * *

شعرت (هويدا) وكأن مخها موضوع داخل سيارة ترتج بقوة فوق طريق مملوء بالحصى ، وأن جفنيها ثقيلان إلى درجة تحتاج إلى مساعدة خارجية لفتحهما ، وبدا لها

المشهد لأول وهلة مشوشا ، ثم أخذ يتّضح تدريجيا ، وأمكنها أن تميّز وجه (أيمن بن على) ، وهو يجلس على مقعد مقابل لها يدخن سيجاره بهدوء ، ويمسك مسدسا ضخما بيمناه .. وحاولت أن تمسك جبهتها براحتها إلا أنها فوجئت بأنها مقيدة بحبل غليظ إلى المقعد الذى تجلس فوقه ، وما هى إلا لحظات حتى استعاد ذهنها صفاءه ، فنظرت إلى (أيمن) بتحدّ واضح مما دفعه إلى تقطيب حاجبيه بغضب وهو يقول :

ـ من حسن الحظ أنك قد استعدت وعيك بسرعة أيتها المصرية ، فلدىّ الكثير مما أحب أن نناقشه معًا .

ابتسمت (هويدا) بسخرية وهى تقول :

ـ ومن سوء حظك أننى أصابُ بالخرس المفاجئ كلما وجه إلىّ شخص سخيف أية أسئلة .

جذب (أيمن) شعرها بقسوة وغضب وهو يقول :

ـ لا داعى للتظاهر بالشجاعة أيتها المصرية الحمقاء .. إننى أريد أن أعرف سبب تدخل المخابرات المصرية فى هذا العمل .

ازدادت علامات التحدّى فى وجه (هويدا) وهى تقول ساخرة :

ـ أمَا زلت تذكر ما يسمونه بالتضامن العربى أيها الخائن ؟

صفعها (أيمن) بقوة وهو يصيح بغضب :

ـ دعك من هذه المصطلحات الرنانة ، وأجيبى عن سؤالى ، وإلّا ...

ثم تناول كلّابة صغيرة من فوق المائدة المجاورة ، وقال بوحشية وهو يقبض على كفها :

ـ وإلا نزعت أظفارك دون تردّد .. إننى أحذرك .. إن هذا الفعل مؤلم للغاية أيتها الفتاة .

ضحكت (هويدا) بتهكم ، وقالت :

ـ هل تشعر بالشجاعة عندما تعذّب امرأة مقيدة أيها الوغد ؟

ازدادت الوحشية فى نظرات (أيمن) وهو يقول :

ـ سنرى أيتها الحمقاء .. سنرى .. وأراهنك أنك

ستسرعين بإخبارى بكل ما تعلمين بعد أن أنزع ظفرا واحدا .

ارتجف جسد (هويدا) رعبا عندما تأكدت من أنه لن يتردّد فى تنفيذ تهديده ، ولكنها تمالكت أعصابها وهى تقول محاولة اكتساب الوقت :

ـ من العجيب أنك قد عدت إلى (فيلّتك) مباشرة يا سيد (أيمن) ! ألم تخش أن يلحق بك (أدهم) إلى هنا ؟

قهقه (أيمن) ضاحكا بشراسة ، ثم قال :

ـ إن رفيقك الشيطان هذا يرقد فى قاع البحر الآن مع الخائنة (برجيت) أيتها الحمقاء .. منذ ساعة على الأقل ، وكان من الممكن أن أقذف بك وراءهما كما فعلت بالأوغاد الثلاثة الآخرين ، ولكننى أحتاج إلى معرفة بعض المعلومات .

وارتعد جسد (هويدا) عندما أمسك ظفر إبهامها

بطرف كلّابته وهو يستطرد قائلا :

ــ وسأظفر بما أريد حتى لو نزعت أظفارك كلها أيتها المصرية الخرقاء .

* * *

٧ ــ يوم المفاجآت ..

أغمضت (هويدا) عينيها بقوة وهى تنتظر برعب ذلك الألم البشع ، الذى ينجم من نزع الأظفار ، وضمت شفتيها المرتجفتين بشدة خشية أن تنطلق من بينهما صرخة ألم وذعر ، وشعرت بالكلّابة وهى تجذب طرف ظفرها ، ولكن فجأة سمعت صوتا مألوفا بلهجته الساخرة الهادئة يقول :

ــ دعك منها يا سيد (أيمن) ، وسأجيبك أنا عن كل أسئلتك .

فتحت (هويدا) عينيها بسرعة ودهشة ، واستدار (أيمن) بحدة وذعر ، فطالعهما (أدهم) وهو يقف بهدوء على باب الغرفة عاقدا ساعديه أمام صدره ، وعلى شفتيه ارتسمت ابتسامته الساخرة المعتادة ..

تبخر الرعب فجأة من قلب (هويدا) ، وحلّ محلّه

شعور جارف بالسعادة ، على حين أسرع (أيمن) يصوب مسدسه إلى (أدهم) ، الذى قال بهدوء دون أن يفقد ابتسامته الساخرة :

ــ أبعد هذا السلاح يا سيد (أيمن) ، إنك تتصرف بحماقة ، ستفقدك صفقة العمر .

ضمّ (أيمن) طرفى حاجبيه بشك وهو يقول :

ــ هل تحاول خداعى مرة أخرى أيها المصرى ؟

حرّك (أدهم) رأسه نفيا بهدوء ، وقال :

ــ مطلقًا يا سيد (أيمن) .. ستتم الصفقة نفسها ، ولكن لحساب المخابرات المصرية هذه المرة ..

نظر إليه (أيمن) بمزيج من الدهشة والشك ، وقال :

ــ ولماذا تريد المخابرات المصرية الحصول على هذه المعلومات ؟

وقبل أن يجيبه (أدهم) جذب هو صمام الأمان بمسدسه ، وقال بعصبية :

ــ لا أيها المصرى .. لن تخدعنى مرة ثانية .

وفجأة مال جسد (أدهم) إلى اليسار ، ثم تحركت ساقه اليمنى بسرعة خاطفة ، وركلت قدمه المسدس الذى يمسك به (أيمن) ، ثم قفز إلى أعلى ، والتقط المسدس فى الهواء ، وعاد يستقر بقدمه على أرض الغرفة مصوبًا مسدسه إلى (أيمن) ، الذى تسمّر فى مكانه بذهول ورعب ، وسمع (أدهم) وهو يتنهّد قائلا :

ــ ألا توجد وسائل أكثر تهذيبا لإقناعك بمعاملتنا ببعض الثقة يا سيد (أيمن) ؟

ثم جلس بهدوء ، وألقى المسدس على المنضدة المجاورة بقلّة اكتراث وهو يقول :

ــ فلنبدأ خطوات الثقة بأن تحلّ وثاق زميلتى ، ثم نتحدث فى الأمر بهدوء يا سيد (أيمن) ، ولعلنا نتوصّل إلى اتفاق مرض للطرفين .

* * *



ثم قفز إلى أعلى ، والتقط المسدس فى الهواء ..

تناول (أيمن بن على) رشفة من كأسه ، ثم قال بصوت لم يزايله الشك :

ـ إن قصتك تبدو غير مقنعة يا مسيو (أدهم) ، فتجسس الدول العربية بعضها على بعض أمر غير مألوف ، وغير مقبول أيضا ، ثم لماذا تظاهرت فى البداية أنك تعمل إلى جانب المخابرات الا ..... ؟

قاطعه (أدهم) قائلا :

ـ إن عدم اقتناعك بسبب رغبتنا فى الحصول على المعلومات يبرر تنكُّرى فى شخصية (مائير) يا سيد (أيمن) ، فلقد كان هذا أقرب إلى تصوُّرك ، ثم إن العلاقات بين الدول أمر معقَّد للغاية ، ومن العسير أن أشرح لك تفصيليًّا سبب رغبة المخابرات المصرية فى الحصول على الأسرار المغربية .

صمت (أيمن) فترة طويلة ليفكر ، ثم قال :

ـ حسنا يا مسيو (أدهم) ، إن التفسير لا يعنينى كثيرا ، ما دمت سأحتفظ بنسخة واضحة من المعلومات .

ثم ضاقت عيناه بخبث ونهم وهو يستطرد قائلا :

ـ ولكن التغاضى عن السبب يرفع من ثمن المعلومات بالتأكيد يا مسيو (أدهم) .

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال :

ـ كم تطلب يا سيد (أيمن) ؟

برقت عينا (أيمن) وهو يقول بجشع :

ـ عشرون مليونًا يا مسيو (أدهم) .. نقدا .. مقابل النسخة الأصلية على أن أحتفظ بنسخة مصورة .

صمت (أدهم) لحظة ، ثم قال بهدوء :

ـ اتفقنا يا سيد (أيمن) .

وفجأة جاءهم صوت (برجيت) باردا ساخرا وهى تقول :

ـ إن أسلوبك طريف للغاية أيها الشيطان المصرى .

* * *

شعرت (هويدا) بحنق شديد ، وعضَّ (أيمن) شفته السفلى بغيظ ، كما هى عادته ، أما (أدهم) فقد

ضحك ضحكة قصيرة ساخرة ، وقال وهو يتأمَّل (برجيت) والرجال الخمسة الذين يحيطون بها :

ـ مرحبا أيتها الفرنسية الجميلة .. يبدو أن جمالك يجذب الرجال حولك دائما ، ولكن من الغريب أنك تفضلين الخنازير الذين يحملون الأسلحة النارية .

ابتسمت (برجيت) بسخرية ، وقالت :

ـ إن المسدسات التى يمسك بها هؤلاء الرجال الخمسة مزودة بكواتم للصوت أيها الشيطان المصرى ، وهى مستعدة للإطلاق عند أول إشارة من يدى .

ثم هزَّت رأسها وهى تقول بتعجب :

ـ أنت مثير للدهشة أيها الشيطان المصرى !.. لماذا أنقذتنى من الغرق بعد أن علمت أننا عدوَّان ؟

هزَّ (أدهم) كتفيه قائلا بسخرية :

ـ ربما أردت أن أجعلك مدينة لى بحياتك أيتها الفرنسية .

زوت (برجيت) ما بين عينيها بغضب ، وقالت :

ـــ كُفّ عن مناداتى بالفرنسية أيها الشيطان المصرى ، فأنا فرنسية المولد فقط ، ولكننى أنتمى إلى شعب آخر .

وهنا تدخّل (أيمن) قائلا بصوت مرتعد :

ـــ اسمعى يا عزيزتى (برجيت) ، أنا مستعد لتسليمكم نسخة من المعلومات مجانا .

ضحكت (برجيت) ضحكة ساخرة عالية ، وقالت :

ـــ كان ذلك ممكنا فيما مضى يا مسيو (أيمن) ، قبل أن ينكشف تدخلنا ، أمّا الآن فلا بدّ أن هذا الشيطان المصرى قد أبلغ دولته بسعينا وراء المعلومات ، وأصبح من الأفضل كشفها للعالم أجمع ما دمنا لن نحصل عليها وحدنا .

جحظت عينا (أيمن) وهو يقول :

ـــ ماذا تعنين يا (برجيت) ؟

برقت عينا (برجيت) بشراسة وهى تقول بصوت خافت بارد :

ـــ أعنى أن أسهل وسيلة لإنجاح مخططنا هى قتلكم جميعا يا مسيو (أيمن) .

ثم رفعت يدها بهدوء مشيرة لرجالها الخمسة بإطلاق النار .

* * *





٨ ـــ سباق الخطر ..

عندما أطلقت إدارة المخابرات الحربية المصرية على المقدم (أدهم صبرى) لقب رجل المستحيل لم يكن ذلك عبثا ، وإنما كان ذلك بسبب تلك الكلمة العفوية التى تنطلق من أفواه كل من يرى عملا من أعماله المذهلة .. نفس الكلمة التى نطقت بها (برجيت) .. كلمة مستحيل .. فقد تحرك (أدهم) بخفة مذهلة ، فالتقط مسدس (أيمن) الملقى فوق المنضدة ، وأطلق منه خمس رصاصات سريعة نحو الرجال الخمسة ، وتصاعدت خمس صيحات متألمة ، فوجئت (برجيت) بعدها برجالها الخمسة عزلا من السلاح ، فصاحت بذهول :

ـــ ولكن .. هذا مستحيل .

ابتسمت (هويدا) بإعجاب ، وقالت :

— ولذلك فهو يصلح لأن يقوم به (أدهم صبرى) .

ضحكت (برجيت) بعصبية ، وقالت :

— والآن ماذا ستفعل أيها الشيطان ؟.. إن هذا المسدس الذى تحمله من النوع القديم الذى لا تحتوى خزانته على أكثر من ست رصاصات ، وهذا معناه أنك لم تعد تمتلك سوى رصاصة واحدة .. كان من الأفضل أن تقتل رجالى الخمسة بدلا من الإطاحة بمسدساتهم أيها الشيطان .

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال متهكما :

— حسنا أيتها الذكية ، أنا أعترف بأنه لم يعد لدىّ سوى رصاصة واحدة ، ولكن من منكم لديه الشجاعة ليتلقاها أولا .

قفزت (برجيت) نحوه وهى تقول بشراسة خلقها يأسها :

— سأتلقاها أنا أيها الشيطان ، فهذا أفضل من الهزيمة .

لم يطلق (أدهم) رصاصة مسدسه ، بل طوّح به جانبا ، وتلقى (برجيت) بكفيه ، ورفعها عن الأرض ببساطة ، وكأنه يحمل قطة صغيرة ، وألقى بها فى وجه رجالها الخمسة ..

خُيّل للرجال الخمسة أن سقف (الفيلا) قد سقط فوق رءوسهم ، أو أن قنبلة شديدة التفجير قد انفجرت فى وجوههم ، فقد تلقى أولهم لكمة ساحقة هشمت أسنانه ، وملأت فمه بالدماء ، وجحظت عينا الثانى عندما غاصت معدته بقوة مؤلمة لترتطم بعموده الفقرى ، وأظلمت الغرفة فى وجه الثالث عندما تهشم أنفه بصوت مرعب ، وتأوّه الرابع بألم مع صوت تحطُّم عظام فكه ، أمّا الخامس فقد تلقى ضربة قوية على مؤخرة عنقه ، أخرجته من المعركة بسرعة ، واتسعت عينا (برجيت) وهى تقول بذهول اختلط بدموعها :

— مستحيل .. أنت شيطان !!

لم يكن (أيمن) و (هويدا) أقل ذهولا منها بسبب

تلك السرعة الفائقة والمهارة المدهشة فى أسلوب (أدهم صبرى) الفريد ، ولكن (أيمن) تحدث أولا ، فصاح بقسوة :

— اقتلهم جميعا يا مسيو (أدهم) .. اقتلهم وإلا تعقبونا حتى آخر العالم .

قال (أدهم) ببرود ، دون أن يلتفت إلى (برجيت) التى أجهشت بالبكاء :

— دعك من هذه الأفكار القاسية يا سيد(أيمن).. المهم أن نبتعد عن هنا بقدر الإمكان حتى يمكننا إتمام الصفقة ، قبل أن تعود المخابرات المعادية للتدخل مرة أخرى .

* * *

أخذ (أيمن بن على) يدور فى أرجاء حجرة (أدهم) ، وهو ينفث دخان سيجاره بعصبية ، ويقول :

— إنهم يريدون قتلى يا مسيو (أدهم) .. هل

تفهم ؟.. يريدون أن يسلبونى حياتى ، وأنت تطلب منى أن أتصرّف بهدوء !

قال (أدهم) بهدوء :

— ليس لدينا الآن سوى إحضار المستندات والابتعاد عن هنا يا سيد (أيمن) .

التفت (أيمن) إلى (أدهم) وصاح :

— أنت تبحث عما يفيدك فقط يا مسيو (أدهم) ولا تفكر فى حياتى مطلقا .

ثم مال نحو (أدهم) ، وقال بصوت مرتعد :

— اسمع يا مسيو (أدهم) إن شرطى الوحيد لتسليمكم المستندات هو أن تمنحونى حق اللجوء السياسى إلى مصر .

ابتسم (أدهم) بهدوء ، وقال :

— لا يمكننى أن أعدك بذلك يا سيد (أيمن) ، ولكننى أستطيع أن أحصل لك على تأشيرة لدخول الأراضى المصرية

اعتدل (أيمن) وظهر على وجهه التردُّد وهو يعاود السير بعصبية فى أنحاء الغرفة ، ثم استند بظهره إلى النافذة ، وقال :

ــ حسنا يا مسيو (أدهم) .. هذا يكفى فى الوقت الحالى ، المهم أن أبتعد عن (مونت كارلو) بسرعة قبل أن ينجح هؤلاء الأوغاد فى قتـ ....

وقبل أن يكمل (أيمن بن على) عبارته تحطّم زجاج النافذة من خلفه مباشرة ، وجحظت عيناه برعب وألم ، على حين ظهرت بقعة صغيرة من الدماء فى منتصف جبهته ، قبل أن يسقط كلوح من الخشب على أرض الغرفة .

سحب (أدهم) مسدسه ، وقفز نحو النافذة ، ولكنه رأى سيارة زرقاء تنطلق بسرعة بعيدا عن (الفيلا) ، فصوَّب مسدسه إلى عجلاتها الخلفية ، وأطلق رصاصة واحدة ، فجَّرت عجلة السيارة ، وأخلّت بتوازنها ، فارتطمت بسور (فيلا) قريبة ، وتحطمت مقدمتها تماما .



سحب (أدهم) مسدسه ، وقفز نحو النافذة ،
ولكنه رأى سيارة زرقاء تنطلق بسرعة ..

تراجع (أدهم) مبتعدا عن النافذة ، وقال :

ــ من حسن الحظ أن مسدسى مزود بكاتم للصوت ، فليس من المفضَّل تدخُّل رجال شرطة (مونت كارلو) الآن .

ولكن (هويدا) قالت بصوت آسف :

ــ لم يعد ذلك مهما يا سيادة المقدم ، فلقد نجح هؤلاء الأوغاد فى مخططهم .. لقد فارق الخائن المغربى الحياة قبل أن نتوصل إلى المكان الذى يخفى فيه المستندات .

قطّب (أدهم) حاجبيه ، وقال :

ــ يا إلهى !! إنها أول مرة أواجه فيها الفشل بهذه الصورة .

ثم صمت لحظة قال بعدها :

ــ ربما لم تفشل مهمتنا بعد أيتها الملازم .. فلم تزل أمامنا فرصة أخيرة للعثور على المستندات ..

رفعت (هويدا)رأسها إليه بدهشة،فاستطرد قائلا:

ــ إنها فرصة ضئيلة ولكنها قد تؤدى إلى النجاح ، لو أمكننا تنفيذها قبل أن يصل خبر مصرع (أيمن بن على) إلى صحف (مونت كارلو) الصباحية .

* * *



٩ ــ خدعة مستحيلة ..

دار مفتش البوليس الفرنسى بعينيه فى أنحاء الغرفة ، وتوقف بصره لحظات فوق جثة (أيمن بن على) قبل أن يهزّ رأسه فى حيرة قائلا :

ــ إن قصتك تبدو غريبة أيتها المصرية ، فإن مثل هذه الأحداث لم تشاهدها (مونت كارلو) مطلقا .. لقد أزعج هذا الخبر الأمير (رينيه) بشكل شديد .

استندت (هويدا) بظهرها إلى مسند المقعد ، وقالت بهدوء :

ــ كنت أظن أن الأمور تبدو واضحة إلى درجة لا تحتاج إلى التفسير أيها المفتش .

هزَّ المفتش رأسه ، وقال :

ــ إننى لا أفكر فى اتهامك يا سيدتى ، فلقد اعترف الرجال الذين ألقينا القبض عليهم بارتكابهم هذه

الجريمة ، ولكننى أتساءل عمن أطلق الرصاص على عجلة سيارتهم .

هزت (هويدا) كتفيها بلا مبالاة ، وقالت :

ــ إنها مهمتك أنت يا سيادة المفتش .

أومأ المفتش برأسه موافقا ، وقال :

ــ هذا صحيح يا سيدتى ، ولكن ... أين زوجك فى هذه اللحظة ؟

هزّت (هويدا) رأسها وهى تقول :

ــ لست أدرى أيها المفتش ، إنه يغادر (الفيلا) دائما مع غروب الشمس ، ربّما ليتوجه إلى (كازينو رويال) ، فهو لا يحب أن أقيده بمرافقتى إياه .

أومأ المفتش برأسه علامة الفهم ، وأشار إلى رجاله برفع الجثة ، بعد أن انتهى الطبيب الشرعى من إجراء فحوصه الأولية عليها ، وتوجّه المفتش إلى باب الخروج ، ثم توقّف لحظة واستدار نحو (هويدا) ، وسألها :

ــ ألا تعلمين حقا أين زوجك يا سيدتى ؟

ابتسمت (هويدا) بهدوء وهى تقول :

ــ أقسم لك ، إننى لا أعلم أيها المفتش .

* * *

قفز (رونيه) المحامى من فراشه منزعجا ، وأسرع يجيب رنين جرس الباب الذى ارتفع محطّما سكون الليل ، وأسرعت زوجته خلفه ، وقلبها يدق بعنف ، وما أن فتح (رونيه) الباب ، حتى اتسعت عيناه دهشة على مرأى القادم ، وقال بارتباك وهو يربط حزام (الروب) :

ــ مسيو (أيمن) ؟.. ما الذى أتى بك فى هذا الوقت المتأخر من الليل ؟

قال (أدهم) المتنكر ببراعة فى هيئة (أيمن) مقلدا صوته باعجاز :

ــ إننى أحتاج إلى المستندات التى أودعتها لديك يا مسيو (رونيه) .. أحتاج إليها الآن لضرورة قصوى .

نظر إليه (رونيه) بدهشة ، وقال :

ــ ولكن المكتب مغلق فى هذه الساعة .. إنها الثانية صباحا .

تظاهر (أدهم) بالغضب وهو يقول :

ــ اسمع يا مسيو (رونيه) لقد اخترتك بالذات لإقتناعى التام أنك المحامى الوحيد الذى أستطيع اللجوء إليه وقت الشدة ، ثم إنك تتقاضى منى مبلغا طائلا كل شهر ، و ...

أغلق (رونيه) عينيه ، وقال وهو يرفع كفه فى وجه (أدهم) :

ــ حسنا .. حسنا يا مسيو (أيمن) .. سنذهب معًا إلى المكتب ، وسأسلمك المستندات فى الحال .

* * *

أشار (رونيه) إلى خزانة مكعبة الشكل أمام مكتبه ، وقال وهو يدير مفتاح جهاز الراديو بحركة تلقائية اعتادها عند دخوله مكتبه :

ــ ها هى ذى مستنداتك ، ترقد آمنة داخل

خزانتى يا مسيو (أيمن) .

انسابت موسيقى هادئة من جهاز الراديو ، دغدغت حواس (أدهم) ، وبعثت فى أوصاله استرخاء هادئا ، فجلس على مقعد قريب ، وأخذ يراقب (رونيه) باهتمام ، وهو يدير الأرقام السرِّيَّة لخزانته ، وانسابت أفكار (أدهم) مع الموسيقى الهادئة ، وتنهّد بارتياح وهو يتذكر المجهود الشاق الذى بذله حتى توصّل إلى المحامى المنشود ، فلقد حصل من دليل الهاتف على عناوين كل المحامين فى مدينة (مونت كارلو) ، وزار كلا منهم وهو متنكر فى شخصية (أيمن بن على) وكان يطلب من كل منهم المستندات التى أودعها لديه ، ولقد قوبل بالدهشة والغضب من الجميع عدا (رونيه) ، الذى تعرفه فى الحال ..

كانت خطة بسيطة ، ولكنه لم يكن يستطيع إنجازها فى أثناء حياة (أيمن) ، فلقد كان يخشى أن يكشف المحامى المنشود أمره ، ويخبر (أيمن بن على) ، وكان هذا

سيؤدى إلى فشل الخطة بالطبع ..

استرسل (أدهم) فى أفكاره حتى أنه لم ينتبه إلى أن الموسيقى قد توقفت ، وحل محلّها صوت مذيع الأنباء ، وفجأة تنبه إلى أن الدهشة قد ارتسمت على وجه (رونيه) بشكل عنيف ، وأنه قد التقط من درج مكتبه مسدسًا ضخمًا صوَّبه إليه ..

قطَّب (أدهم) حاجبيه وهو يقول متظاهرًا بالغضب :

ــ ما معنى ذلك يا مسيو (رونيه) ؟

أعاد (رونيه) المظروف الذى يحتوى على المعلومات إلى خزانته ، وأغلقها بإحكام قبل أن يقول بصوت لم تزايله الدهشة :

ــ من أنت بحق السماء ؟

تظاهر (أدهم) بالغضب وهو يقول :

ــ هل أصابك الجنون يا مسيو (رونيه) ؟.. إننى (أيمن بن على) بالطبع .

أشار (رونيه) إلى المذياع بأصابع مرتعدة وهو يقول :

ــ لقد أعلن المذياع الآن نبأ مقتل (أيمن بن على).. أنت مخادع بالتأكيد .. مخادع يحاول الحصول على المستندات قبل نشرها .

تظاهر (أدهم) بالدهشة وهو يهب من مقعده صائحا :

ــ بل خبر مقتلى هو الخدعة يا مسيو (رونيه) .. إنهم يحاولون إيهامك بمصرعى حتى يمنعوك من إعطائى المستندات .. صدقنى يا مسيو (رونيه) ، إن هذا الخبر هو الخدعة .

كان من الواضح أن هناك صراعا عنيفا يدور فى عقل (رونيه) ، وهو عاجز عن حسمه إلى أن تناول سمَّاعة الهاتف ، وقال :

ــ حسنا يامسيو(أيمن)،أو أيًا ما تكون سنتصل بإدارة الشرطة وهى القادرة على حسم هذا الموقف .

تظاهر (أدهم) بالراحة وهو يقول :

ــ حسنا يا مسيو (رونيه) ، هذا رأى معقول .

أحنى (رونيه) رأسه جزءا من الثانية ، حتى يتمكن من رؤية الأرقام المدونة على قرص التليفون ، وكان هذا الجزء من الثانية كافيا لـ (أدهم) ، فقفز قفزة رشيقة مدهشة عابرًا المكتب الضخم ، وركلت قدمه المسدس الذى يمسك به (رونيه) ، ثم أصاب مؤخرة عنقه بضربة فنية واحدة ، أفقدت المحامىَ وعيه فى الحال .

تمتم (أدهم) بلهجة آسفة وهو يلتفت إلى الخزانة المغلقة :

ــ معذرة يا مسيو (رونيه) ، ولكننى لن أسمح بفشل المهمة من أجل عنادك .

وأخذ يعصر فكره بقوة محاولاً تذكر الأرقام التى فتح بها (رونيه) الخزانة ، وأخذت أصابعه الخبيرة تعبث فى القفل السرى بمهارة يحسده عليها أبرع اللصوص ، وإن هى إلا لحظات حتى وصل إلى مسامعه صوت خافت يؤكد نجاحه ...



فقفز قفزة رشيقة مدهشة عابرًا المكتب الضخم ، وركلت قدمه المسدس الذى يمسك به (رونيه) ..

فتح (أدهم) الخزانة بهدوء ، وتناول منها المظروف المغلق ، ثم أعاد إغلاقها بعناية ، وفض المظروف مطلعا على محتوياته للتأكد منها ، ثم دسَّه فى جيب سترته ، وهو يتمتم بلهجته الساخرة :

ــ بهذا يمكننا اعتبار هذه المهمة قد نجحت .

ثم تناول سماعة الهاتف ، وطلب رقما ، وانتظر حتى أجابه صوت من الطرف الآخر يقول :

ــ هنا قسم شرطة (مونت كارلو) ، هل هناك من خدمة نستطيع تقديمها ؟

قال (أدهم) بهدوء وهو يتأمل (رونيه) الفاقد الوعى :

ــ هنا مكتب المسيو (رونيه) المحامى .. يبدو أن أحدهم قد اعتدى على صاحب المكتب بغرض سرقة بعض أوراقه ، ومن الأفضل إحضار سيارة إسعاف فهو ــ على ما يبدو ــ فاقد الوعى .

سأله الشرطى على الطرف الآخر باهتمام :

ــ من أنت يا مسيو ؟

ضحك (أدهم) بسخرية وهو يقول :

ــ يمكنك أن تسجل فى أوراقك أننى أدعى (أرسين لوبين) .

ثم أغلق الهاتف وهو يبتسم بسخرية .

* * *



١٠ ــ شعور غامض ..

ضحكت (هويدا) بصوت مرتفع وهى تصفق بكفيها فى مرح طفولى ، ثم مالت على أذن (أدهم) ، وهمست بصوت ضاحك :

ــ إذن فقد أخبرتهم أنك (أرسين لوبين) .يا سيادة المقدم !.. يا لها من دعابة طريفة !!

نظر (أدهم) من خلال لوح زجاجى هائل إلى أرض المطار ، ثم قال بهدوء :

ــ لا أعتقد أنها كانت كذلك بالنسبة لرجال الشرطة أيتها الملازم .

أمسكت (هويدا) ذراعه بقوة ، وصاحت بانفعال وهى تشير إلى طائرة خاصة أنيقة هبطت توًا فى ممر خاص :

ــ يا إلهى !! انظر يا سيادة المقدم .. إنه الأمير

(رينيه) بنفسه .. يا إلهى !! كم هو وسيم وأنيق برغم تقدمه فى العمر .

ابتسم (أدهم) بهدوء ، فتابعت هى قائلة باهتمام بالغ :

ــ هل تعلم أنه كان متزوجا من ممثلة عالمية سابقة ؟.. إنها (جريس كيلى) التى توفيت فى حادث سيارة .. لا بدّ أنه حزين لفقدها حتى الآن .

تراقصت ابتسامة ساخرة على شفتى (أدهم) وهو يتمتم بصوت خافت :

ــ يا للنساء !!

أغضبها تعليقه الساخر ، فقالت بضيق :

ــ يبدو أن حديثى لا يثير فى نفسك أكثر من السخرية يا سيادة المقدم .

قال (أدهم) بهدوء :

ــ أبدا أيتها الملازم ، ولكننى لا أشعر بالراحة إلا عندما تنتهى المهمة بنجاح .

نظرت إليه (هويدا) بدهشة ، وقالت :

ــ عجبا لك يا سيادة المقدم !!.. لقد حصلنا على المستندات ، وانتهى الخائن .. ألا تعُدُّ هذا عملا ناجحا ؟ إننى أعدُّه كذلك بالطبع .

ابتسم (أدهم) بهدوء ، وقال :

ــ من العجيب أنك متطرفة دائما فى مشاعرك أيتها الملازم ، فإمَّا مغرقة فى التشاؤم ، وإما مغرقة فى التفاؤل .

ثم استدار ليواجهها وهو يستطرد قائلا :

ــ أمَّا أنا فما زلت أتساءل عن سبب ابتعاد المخابرات المعادية المفاجئ ، وبخاصة أنهم يطلبون رأسى دائما ، ومن العجيب أن يتركونى أرحل هكذا .

قطَّبت (هويدا) حاجبيها ، وقالت :

ــ ربما لا يعلمون أنك قد حصلت على المظروف أو ...

وهنا قاطعهما صوت المذيعة الداخلية وهى تطلب من ركاب الطائرة المسافرة إلى المملكة المغربية سرعة

التوجه إلى ممر الهبوط ، لقرب موعد إقلاع الطائرة ، فابتسمت (هويدا) وهى تقول بمرح :

ــ دع عنك هذا القلق يا سيادة المقدم ، فها نحن أولاء فى طريقنا إلى بر الأمان .

* * *

أقلعت الطائرة من المطار بهدوء ، واتخذت طريقها نحو المملكة المغربية ، فتثاءبت (هويدا) وهى تقول :

ــ أعتقد أن المهمة أصبحت ناجحة الآن يا سيادة المقدم .

ولكنها لمحت علامات القلق على وجه (أدهم) ، فسألته بدهشة :

ــ ما الذى يقلقك إلى هذا الحد يا سيادة المقدم ؟

التفت إليها (أدهم) ، وقال :

ــ من الصعب أن أفسر هذا الشعور أيتها الملازم ، ولكن ... عندما يزاول الإنسان عملاً ما فترة طويلة ينشأ بينه وبين هذا العمل نوع من الارتباط الحسّى ،

ويعمل هذا الارتباط على تنمية بعض الحواس الخفية فى الإنسان ، ولقد اعتدت على هذا الشعور ، حتى أننى فى كل مرة تنتهى فيها إحدى المهام بنجاح أشعر بما يشبه الارتخاء العضلى والراحة ، وهذا الشعور لم يخدعنى مرة واحدة أيتها الملازم .

قلّبت (هويدا) كفيها بحيرة ، وهى تقول :

ــ أين تكمن المشكلة إذن يا سيادة المقدم ؟

زوى (أدهم) ما بين حاجبيه وهو يقول بحيرة واضحة :

ــ إنها تكمن فى أن هذا الشعور لم يراودنى حتى الآن أيتها الملازم .. بل أشعر وكأن المهمة لم تنته بعد .

استندت (هويدا) إلى مقعدها وهى تقول بسخرية:

ــ ليس هناك مجال للمشاعر فى عمل المخابرات يا سيادة المقدم .

ضحك (أدهم) ، وقال :

ــ هذه العبارة يردّدونها دائما فى السينما فقط أيتها

الملازم ، أما فى الواقع فإن عمل المخابرات يعتمد تماما على المشاعر ، وإلّا ما ضحّى رجل المخابرات بحياته فى سبيل شعور نبيل كحب الوطن مثلا .

هزّت (هويدا) كتفيها وهى تقول بخبث :

ــ يا للرجال !!

وفجأة سمعت (أدهم) يتمتم قائلا :

ــ رباه !! ماذا يحدث هنا ؟

سألته بدهشة :

ــ ماذا حدث يا سيادة المقدم ؟

أجابها (أدهم) وهو يهم بالنهوض :

ــ لقد دخل رجل كابينة القيادة دون إذن ، وهذه الفتاة ذات الشعر الأسود تبدو وكأنها ...

وفجأة استدارت الفتاة ذات الشعر الأسود لتواجه ركاب الطائرة مصوبة إليهم مسدسًا كبير الحجم ، وهى تقول بلهجة ساخرة عرفتها أذن (أدهم) على الفور :

ــ فليثبت كل منكم فى مكانه ، إنه اختطاف !!

١١ ــ اختطاف طائرة ..

صرخت بعض الراكبات بذعر ، وشهق الركاب ، على حين التفت (أدهم) إلى (هويدا) ، وقال بلهجة ساخرة :

ــ لقد كان شعورى محقًا أيتها الملازم .. إنها صديقتنا (برجيت) .

كانت (برجيت) تقف فى مواجهة الركاب ، وقد صبغت شعرها باللون الأسود ، وارتدت معطفا أسود طويلاً ، وأخذت تلوّح بمسدسها الضخم فى وجوههم الخائفة وهى تقول بلهجتها الساخرة :

ــ هل ظننت أنك قد هزمت (برجيت دى مال) أيها الشيطان المصرى لمجرد أنك قد ركبت الطائرة المتوجهة إلى المغرب ؟

نهض (أدهم) من مقعده وهو يبتسم بسخرية ،

ولاحظ أن هناك رجلا آخر فى مؤخرة الطائرة يصوب إليه مسدسه ، فقال :

ــ وهل تظنين أنك قد انتصرت لمجرد اختطاف الطائرة ؟

ضحكت (برجيت) ، وقالت :

ــ إن اختطاف الطائرة هو الخطوة الأولى من خطة معقدة مضمونة النجاح أيها الشيطان .

قال (أدهم) متهكما :

ــ إننى متشوق للغاية لمعرفة الخطوة التالية يا عزيزتى (برجيت) .

ابتسمت (برجيت) بخبث وهى تقول :

ــ الخطوة التالية تعتمد على انتزاع المظروف السرى منك يا مسيو (أدهم) ، فهو إما فى سترتك أو فى حقيبتك الصغيرة .

وأشارت إلى الرجل الذى يقف فى المؤخرة فاقترب

من (أدهم) ، وأخذ يفتشه ، وقالت هى بابتسامة ماكرة :

ــ لاحظ أن المسدسات غير مزودة بكواتم للصوت يا مسيو (أدهم) ، وأننى أصوِّب مسدسًا إلى الركاب وليس إليك .

سألها (أدهم) بهدوء :

ــ وماذا يعنى ذلك أيتها الذكية ؟

ازدادت ابتسامتها خبثا وهى تقول :

ــ معناه أنك لو حاولت القيام بإحدى محاولاتك المذهلة فسيكفى أن تنطلق رصاصة واحدة يقتل بعدها زميلنا قائد الطائرة ومساعديه ، وأطلق أنا النار على ركاب الطائرة .

ضاقت عينا (أدهم) وهو يقول بصوت مخيف :

ــ لن ينجح هذا الأسلوب القذر أيتها المتوحشة .

ضحكت (برجيت) بشراسة تتنافى مع قسماتها الرقيقة ، وقالت :

ــ سنرى يا مسيو (أدهم) .. سنرى .

انفرجت أسارير الرجل الذى يفتش (أدهم) عندما عثر على المظروف فطوح به نحو (برجيت) ، التى ألقت نظرة سريعة على محتوياته ، ثم ابتسمت بشماتة وفوز ، ودسَّته فى جيب (بنطلونها) الأزرق ، ونادت زميلها الموجود داخل كابينة القيادة ، فخرج مبتسما ، وقال بمرح وشراسة :

ــ لقد تلقى قائد الطائرة الدرس يا (برجيت) سيدور دورة كاملة فى الهواء ، وإلا أطلقنا النار على الركاب .

ابتسمت (برجيت) ، وأشارت إلى الركاب الذين يجلسون بقرب مخرج الطوارئ قائلة :

ــ فليأخذ الجميع استعدادهم ؛ لأننا سنضطر إلى فتح هذا الباب ومغادرة الطائرة .

ارتفعت صيحات الرعب من حناجر الركاب ، وأسرع كل منهم يربط حزام مقعده ، ويضع على وجهه قناع الأكسجين المخصص للطوارئ ، على حين خلعت

(برجيت) معطفها الطويل ، وعاونها زميلها على ارتداء مظلة هبوط أخرجها من حقيبة كبيرة ، فقال (أدهم) بسخرية :

ــ من الواضح أن الخطة قد أُعِدَّت إعدادًا تامًّا أيتها الحقيرة .

رفعت (برجيت) رأسها نحوه ، وظهر الغضب واضحا على قسماتها وهى تقول :

ــ ستموت من أجل كلمة حقيرة هذه أيها الشيطان .

ثم أشارت لرجلها ، ففتح باب الطوارئ بالطائرة ، وتطايرت الأوراق والأمتعة الخفيفة بسبب اختلال الضغط الناشئ من فتح الباب ، وشهق الركاب بفزع ، فابتسمت هى بسخرية ، وثبتت خوذة مستديرة فوق وجهها وهى تقول بشماتة :

ــ كما سبق أن أخبرتك يا مسيو (أدهم) ، إننى فتاة رقيقة للغاية ؛ ولذلك فسأغادر الطائرة أولا ، ثم

يقتلك زملائى ، ويلحقون بى بعد ذلك .

ثم ضحكت وهى تلوّح بالمظروف قائلة :

ــ هل رأيت يا مسيو (أدهم) ؟.. ها قد هزمتك امرأة .

وما أن أتمت عبارتها حتى قفزت من الطائرة ومظلة الهبوط مثبتة فى ظهرها .

* * *

لم يكد جسد (برجيت) يعبر خارج الطائرة حتى استدار (أدهم) بحركة حادّة ، فقبض على معصم الرجل ، الذى كان يفتشه منذ لحظات ، ولواه بقوة جعلت المسدس يفلت من يده ، وهو يتأوه ، فالتقطه (أدهم) ، وأطلق منه رصاصة أطاحت بمسدس الرجل الآخر ، ثم ألقى بالمسدس إلى (هويدا) ، وحطم وجه الرجل الأول بلكمة أقل ما يقال عنها أنها ساحقة ، وصاح بحدة :

ــ عليك بالرجل الثانى أيتها الملازم .

أسرعت (هويدا) تصوّب مسدسها إلى الرجل الثانى ، الذى رفع ذراعيه فوق رأسه مستسلما برعب ..

وفجأة جحظت عيون ركاب الطائرة رعبًا ، وصرخت (هويدا) بفزع وذهول ، فأمام عيونهم جميعا وبجرأة منقطعة النظير ، أو بتهور بلغ حده الأقصى أسرع (أدهم) نحو باب الطائرة المفتوح ، وألقى بجسده خارجها دون أن يحمل مظلة هبوط .

* * *





أسرع (أدهم) نحو باب الطائرة المفتوح ، وألقى بجسده خارجها دون أن يحمل مظلة هبوط ..

١٢ ــ ملك النسور ..

من الأشياء العجيبة التى تميّز رجل المخابرات المصرى المسمى (أدهم صبرى) أنه يثق فى قدراته وخبراته ثقة تصل إلى درجة المستحيل ، وأنه لا يحتمل أبدا الشعور بالهزيمة ، بل يفضل الموت عليه ، وعندما ألقى بنفسه من الطائرة كان يعلم جيدا بخبرته السابقة فى القفز بالمظلات أنه يستطيع التحكم فى جسده تماما فى أثناء السقوط ، بحيث يستطيع توجيهه والتحكم فى سرعته بتحديد الجهة التى تواجه الهواء ، وهذا أمر بسيط للغاية بالنسبة لأى رجل مظلات مطمئن لوجود مظلته خلف ظهره ، ولكنّ المذهل من هذا التصرُّف هو أن (أدهم صبرى) لم يكن يحمل مظلة على الإطلاق ، ولكنه كان يحمل أعصابا صبت من الفولاذ غير القابل للصدأ .

كان جسد (أدهم) يسبح فى الهواءّ كنسرٍ ضخم ..

بل كمليك النسور وهو يتوجه بمهارة وحنكة نحو (برجيت) ، التى جذبت حبل مظلتها دون أن تلاحظ ذلك التصرُّف المذهل الذى قام به (أدهم) ..

وفجأة تعلّق (أدهم) بها .. كانت المفاجأة مذهلة إلى حد ألجمها ، وجحظت بعينيها الزرقاوين كالمجنونة ، وأذهلها صوت (أدهم) الساخر وهو يقول :

ــ لقد قلت : إنك لن تنجحى ياعزيزتى (برجيت).

* * *

صاح أحد ركاب الطائرة بذهول وهو ينظر إلى ذلك الحدث الذى يشبه المعجزة :

ــ يا لمعجزة السماء !! لقد نجح هذا الشيطان .. لقد لحق بها والمظلة الآن تهبط بهما معًا ..

صاح الراكب الجالس خلفه وهو يتابع الحدث :

ــ يا إلهى !! لن يصدقنى ابنى إذا ما قصصت عليه هذا المشهد .. إنه مستحيل ، ولكن سرعة هبوط المظلة تزداد ، فهى لن تحمل جسدين بنفس الكفاءة .

تنهّدت (هويدا) بارتياح ، وقالت بسعادة غامرة :

ــ هذا لا يهم فسوف يهبطان على سطح البحر ، وسيخفف الماء من وقع الصدمة .. المهم أنه قد نجح .

صاح الراكب الأول باهتمام :

ــ يبدو أنهما يتشاجران .. إن هذه الحقيرة تحاول التخلص منه .

ابتسمت (هويدا) بثقة ، وقالت :

ــ لا تهتم يا سيدى .. إننى أعلم مقدما لمن ستكون الغلبة .

عاد الراكب يصيح بقلق :

ــ لقد سقطا فى البحر .. إننى لم أعد أرى سوى المظلة تسبح على سطح الماء .

ابتسمت (هويدا) ابتسامة أضاءت وجهها بجاذبية شديدة وهى تقول :

ــ قلت لك : ألا تقلق يا سيدى ، فمهما بلغت

هذه الشيطانة من مهارة فإنها لن تساوى مثقالاً من قدرات رجل المستحيل .

* * *



١٣ ــ الختام ..

ربَّت الرائد (محمد) من المخابرات المغربية على كتف المقدم (أدهم صبرى) ، وقال بإعجاب :

ــ لقد أذهلتنا بمهارتك يا سيادة المقدم ، ونحن نحسد جمهورية مصر العربية على أنها قد أنجبت مثلك .

ابتسم (أدهم) بهدوء ، وقال :

ــ عفواً يا أخ العرب ، إن مصر وأبناءها على أتم الاستعداد دوْما لتقديم العون لأية دولة عربية .

ابتسم النقيب (عماد) ، وقال :

ــ هذا ما نثق به جميعا يا سيادة المقدم .

قال الرائد (محمد) :

ــ لقد أمر جلالة الملك بوضع طائرته الملكية الخاصة تحت تصرفكما ، لتقلكما إلى أى مكان شئتما يا سيادة المقدم .

قال (أدهم) ببساطة :

ـــ لقد كان جلالته كريما معنا للغاية ، فأنا لن أنسى ما حييت استقباله الوُدّىّ لنا فى قصره ، وأرجو أن تبلغاه شكرنا مرة أخرى .

اتسعت ابتسامة الرائد (محمد) وهو يقول :

ـــ بل المملكة المغربية هى المدينة لك بالشكر يا سيادة المقدم ، وصدقنى أنك تستحق عن جدارة لقب رجل المستحيل .

* * *

ظلت (هويدا) صامتة فى أثناء انطلاق الطائرة ، ثم همست بصوت خافت :

ـــ كنت أعلم أنك ستطلب التوجُّه إلى السويد يا سيادة المقدم ، فما زالت زميلتك السابقة تحت العلاج هناك .

ابتسم (أدهم) ، ولم يعلق على عبارتها ، فعادت إلى صمتها لحظة ، ثم قالت :

ـــ هناك أمر ما أحب مناقشته معك يا سيادة المقدم .

التفت (أدهم) إليها مبتسما ومتسائلا ، فتابعت قائلة :

ـــ عندما كنا فى تلك الطائرة وبعد هبوطك فى الماء تحدث إلىّ المخرج السينمائى الفرنسى (كلود ليلوش) الذى كان ضمنَ ركابها ، ولقد ...

صمتت (هويدا) محرجة ،فابتسم (أدهم) مشجعا إياها على الاستمرار ، فتمالكت شجاعتها ، وقالت :

ـــ ولقد طلب منى أن أوافق على تمثيل دور البطولة فى فيلمه القادم .

اتسعت ابتسامة (أدهم) وهو يقول :

ـــ هذا رائع أيتها الملازم ..

ظهر التردُّد على وجه (هويدا) وهى تقول :

ـــ ولكننى لم أوافق بعد يا سيادة المقدم .. صحيح أننى كنت أحلم دائما بذلك ، وأنها فرصة قلّما تتاح

حتى لنجوم السينما المحترفين ، ولكننى أخشى أن أترك المخابرات المصرية ، فأنا أحب أن أخدم وطنى و ...

قاطعها (أدهم) قائلا بلهجة ودِّية :

ـــ ليس رجال المخابرات وحدهم هم الذين يخدمون وطنهم أيتها الملازم .. إن كل مصرى يؤدِّى واجبه بأمانة هو خادم مخلص للوطن ، فالوطن لا يعلو على أكتاف رجال المخابرات وحدهم ، بل هم دعامة خفيفة تنضم إلى الشعب المصرى بأكمله .

تنهَّدت (هويدا) بارتياح وهى تقول :

ـــ شكرا يا سيادة المقدم .. لقد أرحتنى كثيرا .

ثم ابتسمت وهى تواجهه قائلة :

ـــ ولكننى سأظل أذكر دائما تلك الأيام الرائعة التى عملت فيها برفقة رجل المستحيل .

* * *

(تمت بحمد الله)

